@ 211 @ بين ذلك لا إلى ه ؤلاء ولا إلى ه ؤلاء ومن يضلل ا فلن تجد له سبيلا) ^ يخبر تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه ، من قبيح الصفات ، وشنائع السمات . وأن طريقتهم مخادعة ا ، تعالى ، أي : بما أظهروه من الإيمان ، وأبطنوه من الكفران . ظنوا أنه يروج على ا ، ولا يعلمه ، ولا يبديه لعباده ، والحال أن ا خادعهم . فمجرد وجود هذه الحال منهم ، ومشيهم عليها ، خداع لأنفسهم . وأي خداع أعظم ، ممن يسعى سعيا ، يعود عليه بالهوان والذل والحرمان ؟ ويدل بمجرده على نقص عقل صاحبه ، حيث جمع بين المعصية ، ورآها حسنة ، وظنها من العقل والمكر . ف ما يصنع الجهل والخذلان بصاحبه ومن خداعه لهم يوم القيامة ، ما ذكره ا في قوله : ^ (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم) ^ إلى آخر الآيات . ومن صفاتهم أنهم ^ (إذا قاموا إلى الصلاة) ^ التي هي أكبر الطاعات العملية ، إن قاموا ^ (قاموا كسالى) ^ متثاقلين لها ، متبرمين من فعلها . والكسل ، لا يكون إلا من فقد الرغبة من قلوبهم . فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى ا ، وإلى ما عنده ، عادمة للإيمان ، لم يصدر منهم الكسل . ^ (يراؤون الناس) ^ أي : هذا الذي انطوت عليه سرائرهم ، وهذا مصدر أعمالهم ، مراءاة الناس . يقصدون رؤية الناس ، وتعظيمهم ، واحترامهم ، ولا يخلصون . فلهذا ^ (لا يذكرون ا إلا قليلا) ^ لامتلاء قلوبهم من الرياء . فإن ذكر ا تعالى ، وملازمته ، لا يكون إلا من مؤمن ، ممتلىء قلبه ، بمحبة ا وعظمته . ^ (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) ^ أي : مترددين ، بين فريق المؤمنين ، وفريق الكافرين . فلا من المؤمنين ظاهرا وباطنا ، ولا من الكافرين ظاهرا وباطنا . أعطوا باطنهم للكافرين ، وظاهرهم للمؤمنين ، وهذا أعظم ضلال يقدر . ولهذا قال : ^ (ومن يضلل ا فلن تجد له سبيلا) ^ أي : لن تجد طريقا لهدايته ، ولا وسيلة لترك غوايته ، لأنه انغلق عنه باب الرحمة ، وصار بدله ، كل نقمة . فهذه الأوصاف المذمومة ، تدل بتنبيهها على أن المؤمنين ، متصفون بضدها ، من الصدق والإخلاص ، ظاهرا وباطنا . وأنهم لا يجهل ما عندهم ، من النشاط في صلاتهم ، وعباداتهم ، وكثرة ذكرهم تعالى . وأنهم قد هداهم ا ، ووفقهم للصراط المستقيم . فليعرض العاقل نفسه على هذين الأمرين ، وليختر أيهما أولى به ، وا المستعان . ^ (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أوليآء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا عليكم سلطانا مبينا) ^ ولما ذكر أن من صفات المنافقين ، اتخاذ الكافرين

أولياء من دون المؤمنين ، نهى عباده المؤمنين أن يتصفوا بهذه الحالة القبيحة ، وأن يشابهوا المنافقين ، فإن ذلك موجب لأن ^ (تجعلوا عليكم سلطانا مبينا) ^ أي : حجة واضحة على عقوبتكم . فإنه قد أنذرنا وحذرنا منها ، وأخبرنا بما فيها من المفاسد . فسلوكها بعد هذا موجب للعقاب . وهذه الآية ، دليل على كمال عدل ا ، وأن ا لا يعذب أحدا ؛ قبل قيام الحجة عليه . وفيه التحذير من المعاصي ؛ فإن فاعلها يجعل عليه سلطانا مبينا . ^ (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا با وأخلصوا دينهم فأول ئك مع المؤمنين وسوف يؤت ا المؤمنين أجرا عظيما * ما يفعل ا بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان ا شاكرا عليما) ^ يخبر تعالى ، عن مآل المنافقين ، أنهم في أسفل الدركات من العذاب ، وأشر الحالات من العقاب . فهم تحت سائر الكفار ، لأنهم شاركوهم بالكفر با ، ومعاداة رسله . وزادوا عليهم ، المكر والخديعة ، والتمكن من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين ، على وجه لا يشعر به ولا يحس . ورتبوا على ذلك ، جريان أحكام الإسلام عليهم ، واستحقاق ما لا يستحقونه . فبذلك ونحوه ، استحقوا أشد العذاب . وليس لهم منقذ من عذابه ، ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه . وهذا عام لكل منافق ، إلا من من ا عليهم بالتوبة من السيئات . ^ (وأصلحوا) ^ له الظواهر والبواطن ^ (واعتصموا با) ^ والتجأوا إليه ، في جلب منافعهم ، ودفع المضار عنهم . ^ (وأخلصوا دينهم) ^ الذي هو الإسلام ، والإيمان والإحسان ^ ( ) ^ . فقصدوا وجه ا ، بأعمالهم الظاهرة والباطنة ، وسلموا من الرياء والنفاق . فمن اتصف بهذه الصفات ^ (فأولئك مع المؤمنين) ^ أي : في الدنيا ، والبرزخ ، ويوم القيامة . ^ (وسوف يؤتي ا المؤمنين أجرا عظيما) ^ لا يعلم كنهه